معنى الحياة رؤية نفس دينية

بقلم

أمل محمد عنايم
مدرس التربية الخاصة المساعد
كلية التربية جامعة قناة السويس

أنه سؤال يسأله الكثير من الناس لأنفسهم فى زماننا هذا ولكن الإجابة عليه دائما لا تدعو للتفاؤل فمنهم من تكون إجابته أن حياتى ليس لها معنى أو أن الموت فيه راحة لى عن الحياة.. إلخ من أمثلة تلك الإجابات ونسى هؤلاء أن الله تعالى خلق الإنسان لغاية وحيدة تقوم عليها حياته ألا وهى عبادة الله وعمارة الأرض وذلك انطلاقا من قول جل فى علاه ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ سورة البقرة الآية (٣٠) وقوله تعالى ﴿ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلْكَٰفِرِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ وقوله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ سورة المؤمنون الآية ١١٥ وقوله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

نى الحياة يعنى ادراك الفرد لغاية وجوده فى الحياة وكيفية تحقيق هذه الغاية فإذا ادرك الفرد غاية وجوده فى الحياة حينئذ يدرك أن حياته ليست عبثا ومن ثم يشعر أن حياته ذات قيمة ومعنى.

فكيف لشخص خلق لمثل هذه الغاية المعلومة وليس عليه ألا أن يسير فى سبيل تحقيقها من خلال تكليفات ووظائف تساعده على الوصول إليها أن يقول أن حياتى ليس لها معنى أو غيرها من تلك الاجابات؟

وتلك التكليفات وهذه الوظائف ليست مختزلة فى أمور الآخرة حتى لا يفهم البعض أن الحياة ليست إلا صلاة وصيام وزكاة وحج وإنما حشا ديننا الحنيف على الاهتمام بكل أمور الدنيا ومن هنا فقد يجد الفرد معنى لحياته فى عمل ينجزه أو قيمة يتمسك بها أو هوية يحبها أو من خلال تحمله للمسئولية أو تمتعه بعلاقات جيدة مع الآخرين أو تحقيقه لذاته،، إلخ من غير هذه الأمور الدنيوية التى يشعر الفرد من خلالها بالقيمة والأهمية ويشبع بها الكثير من حاجاته النفسية والاجتماعية والروحية، إلا أنها ليست غاية فى حد ذاتها وإنما هى وسيلة لغاية أكبر وهى كما ذكرنا من قبل عباده الله وتعتبر الأرض ولقد سبق القرآن العظيم علماء الغرب فى الحديث عن معنى الحياة ويظهر ذلك فى قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ الأنفال الآية ٤٢

فالحياة بكل معانيها تكمن فى الاستجابة لأوامر الله ورسوله فالمؤمن يجد لحياته معنى وقيمة أكبر بكثير من غيرالمؤمن لأن المؤمن يعلم أن حياته الحقيقية هى الحياة الآخرة وأن تلك الأهداف الدنيوية إنما هى طريقة للنجاة والفوز بالجنة فى الآخرة فيجد فائدة كبيرة ومعنى عظيم لحياته فى الدنيا ويزداد تقديره لها ويدرك لوجوده فيها معنى يدفعه إلى تحمل الصعاب والمشقات والاحباطات التى تواجهه فيها.

أما غير المؤمن فهو على النقيض إذ يعتقد أن حياته سوف تنتهى بموته وأن تلك الأهداف الدنيوية لا جدوى ولا فائدة منها طالما أنه مفارق الحياة ومثل ذلك الإنسان الظالم لنفسه نجده يلجأ إلى الانحراف أو تعاطى المخدرات أو الانتحار عندما تواجهه صعوبات أو مشكلات فى تحقيق أهدافه الدنيوية كأن يفشل فى دراسته أو يصيبه مرض خطير أو يموت شخص عزيز عليه.. إلخ فمن يعمل من أجل الدنيا يفقد قيمة الحياة ولا يجد لها معنى لأنه لا يجد إجابة مقنعة للسؤال؟ لماذا أعمل واجتهد واتحمل الصعوبات والمصائب فى الدنيا وأنا راحل عنها؟ وهذا ما جعل بعض علماء المسلمين أمثال محمد محروس الشناوى يقول إن الخلل الذى أسماه فرانكل وهو أحد علماء الغرب الإنسانيين الذين تحدثوا عن معنى الحياة انعدام المعنى أو الهدف فى الحياة هو خلل فى العقيدة لم يدركه.

وانعدام المعنى أو ما يسمى أيضا بالفراغ الوجودى أو خواء المعنى إنما هو بالأحرى فراغا روحيا يقول الإمام الغزالى «إن الله تعالى خلق الخلق على ثلاثة ضروب خلق الملائكة وركب فيهم العقل ولم يركب فيهم الشهوة، وخلق البهائم وركب فيها الشهوة ولم يركب فيها العقل وخلق ابن آدم وركب فيه العقل والشهوة فمن غلبت شهوته عقله فالبهائم خير منه ومن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة.

وهذا يعنى أن الإنسان كيان مزدوج الطبيعة أى أنه وحده كلية تتكون من ائتلاف بعدين مادى وهو الجسد ومعنوى وهو الروح وقد أوصى الإسلام بضرورة الاهتمام بكلا الجانبين المادى والمعنوى وألا يطغى أحدهما على الآخر إلا أن العصر الذى نعيش فيه قد استحكمت المادة فى نفوسنا وجعلناها الحكم فى كل ما نقدم عليه وأصبح همنا إشباع الرغبات والنزوات حتى أضحى الإنسان كالآلة وهذا سبب ما نعانيه من فراغ روحى.

أن الطعام والشراب.. إلخ هو غذاء الجسد والروح مثل الجسد تحتاج إلى العذاء أيضا وغذاؤها فى طاعة الله ورسوله فإذا حرمها . أى الروح . ماتت والمقصود هنا ليس الموت على المستوى المادى إنما المقصود هو أن الإنسان يعيش كالميت الذى لا يشعر بمعنى ولا قيمة ولا هدف لحياته وتراه يعانى من القلق والاكتئاب واليأس واللامبالاة .. إلخ يقول تعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ الآية ١٢٤ – ١٢٦ طه

والسؤال هنا هو كيف نتغلب على ذلك الفراغ الروحى أو بمعنى آخر كيف يجد الفرد معنى لحياته؟ والجواب يتمثل فى بعض النصائح الإرشادية وهى

١. أن تعرف أن الغاية من خلقك هى عبادة الله وحده

٢. أن تشعر بأهمية وقيمة الوقت وتحافظ عليه

٣. أن تشغل أوقات فراغك بالهوايات والأنشطة الهادفة والبناءة

٤. أن تحب العلم

٥ . أن تداوم على ذكر الله قال صلى الله عليه وسلم «مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت»

٦ . أن تحافظ على الصلاة ففيها يجد الإنسان قرة عينه ويقوى روحه ويشعر براحة نفسه وطمأنينة قلبه

٧ . أن تشعر بالمسئولية نحو نفسك والآخرين

٨ . أن تتذكر الموت دائما

٩. أن تؤمن برسالتك فى الحياة وتضحى في سبيل تحقيقها.